



محوليات

أو

هيلويزا الجديدة

لجان جاك روسو

بقلم أحمد حسن الزيات

الرسالة الثانية

الى موليا

ما كان أشد حنى وترقى فى رسالتى الأولى
يا آنسى : لقد كنت أرجو أن أنفس بها عن
صدرى المكظوم وقلبي المغموم ، فإذا نى أعرض
نفسى من جرائها لخطك : وأنشئ الأمور كلها
على أن أفعل ما ينضيك أو مالا يمجيك ، إن
سكوتك وفطورك وانقباضك هى الدلائل المنذرة
بالمصيبة ؛ وإذا كنت قد أحيت بعض رجائى ،
فذلك لأنه أبلغ فى عقابى وجزائى . فأنك « حين
جملك الحب واعية بقطة ، سترت شعرك الأشقر
وحبست فيك نظراتك المذبة » (١)

لقد كفت أمام الناس عن تبسطك البرى ،
الذى حملنى الجنون على الشكوى منه ، ولـكنك
ازددت قسوة على فيما بينى وبينك ، فتعادات شدتك
اللبقة فى إقبالك وصدودك

(١) من شعر متياس

أينك تعلمين بما يشعرنى هذا الفتور من لوعة
القلب : إذن اعرفت أننى جوزيت شر الجزء
وعوقبت أشد العقوبة . آه ! لو أن لى رجعة إلى
الضى فأحول بينك وبين تلك الرسالة المشنومة :
فأننى لو لم أكتب الأولى لما كتبت الثانية ؛ ولو لم
أضطر إلى كتابة هذه الرسالة لـكنت بنجوة من
مظنة الاساءة إليك مرة أخرى . إني أريد أن
أصالح خطائى لأن أضعفه . أيتها أن أقول إن
نفسى أركبتى الفرور وموتت على الباطل حتى
أمرى من غضبك ؟ أيتها أن أحتج بنفسى بأن
ما أحمل لك فى قلبى هوشى ، غير الحب ؟ أما ؟ أجترى
هذه الجرأة ، وأفترى هذه القرية ؟ وهل الكذب
الفاجر خالق بالقلب الذى تملكينه وتممرينه ؟
أنتك عاقبة جرائى أن أكون بأسأ إذا لم يكن
من ذلك يد ، ذلك أولى من أن أكون بسببها
كاذباً أو جباناً ، فإن الجناية التى اجترحها قلبى ،
لا ينبغي أن يمجدها قلبى
أنا أشعر ساهماً بفداحة غضبك ، والكنى

بؤساً أن أسألك إياه بنفسى . فإذا لم تكونى قاسية
القلب حياقةً فقيرى هذه الهيئة الفاترة المتبرمة التى
تدفعنى الى القنوط . ان الذى يرسل مجرماً الى الموت
لا يزوده بالغضب

الرسالة الثالثة

الى جوبيا

لا يصق صدرك ولا يهن صبرك يا آنسى ، فهذه
الرسالة آخر ما برعجت منى

ما كان أبعدنى ، حين تولد حبك فى قلبى ، أن
أتقصى بالخطر كل الآلام التى تهيات لنفسى ! لم
أحس أول الأمر الا بألم الحب اليائس الذى
يستطيع العقل أن يقهره مع طول الزمن ؛ ثم ذقت
ألماً آخر أعظم من ذلك جره على أنى أغضبتك ؛
وهأنذا الآن أشتشر ألماً أشد على نفسى من كل
ألم لأنى أثرت عليك همومك الخاصة

آه يا جوبيا ! انى أرى والامسى يفت كبدى أن
شكواى تكدر صفوك . انك تلزمين الصمت القاهر
البالغ ، ولكن كل شىء يمان إلى قلبى اليقظ
اضطرابك الدخيل

أصبحت عينك ساهمتين حالتين ناكستين بفر
منهما بعض النظرات الحائرة إلى ، وانكفاً لونك
البعى النضر فبدا على خديك شحوب غريب ،
وفارقتك البهجة المرحمة وتضييتك المعلوم القاتلة ،
فلم يبق مما يحفظ على طبعك الطلاقة إلا عذوبة فى
نفسك لا تنضب

إنك كما أرى مهمومة الحساسة أو زراية أورثاء
لآلامى . وإنى لأخاف أن أكون ساعدت القدر فى
آلامك ؛ وهذا الخوف يؤلىنى ألماً لا يعد له ذلك
السرور الذى يبعثه فى نفسى ما يصاحب ذلك

أنتظر أن يكون مآله الى الرضى والمساهة اذا لم
يكن شىء آخر ؛ فان النار التى ترمض جوائى
وتذوبنى خليقة بأن تماقرب لا أن تحتقر

حنانك يا آنسى ورحمك ! لا تسكينى الى
نفسى . تفضلى فصرف قدرى ووجهى أمسى على
الأقل . أعلى مشيتك واقضى قضاءك فلن تجدينى
مهما قسا الحكم واشتط غيظ طائع ولا سابر . أتفرضين
الصمت الأبدى على : ساحل نفسى على مكروهه
وأروضها على لزومه . أتقصيننى عن حضرتك ؟
سأقسم بالله جهد اليمين لا أريك وجهى بعد اليوم .
أنأمريننى أن أموت ؟ لعل ذلك أيسر الأمور على .
ليس هناك ما يعيننى الخضوع له والرضا به إلا شىء
واحد : هو ألا أحبك . على أنى لو استطعت أن
أنفذ مثل هذا الحكم لما أبيت

أراود نفسى فى النهار مائة مرة على أن أخرج
على قدميك فأغسلهما بغيرائى ، وأطلب منهما ممانى
أو حياتى ، فيهزم الخوف قلبى ، فتزحف يداى
وتصطك ركبتاى ولا أجرو على أن أجثو ؛ ثم
يموت على شفتى الكلام ، ولا أجد فى نفسى
ما يؤمنها من خوفها أن تفضبك

هل تعلمين فيما خاف الله حالاً أهول من حالى
وأفطع ! إن قلبى يشعر كل الشعور أنه آثم ؛ ولكنه
لا يدرى كيف يطلع عن غيبه ويرعوى عن الله .

ان الجرعة والندم قد اصطاحا على أن يهزاه
هزات لا نشوز فيها ولا شدوز . وإنى من غير علم
بصيرى لأضطرب فى حيرة قاتلة بين طمع الرحمة
وخوف العقوبة

ولكن لا : اننى لا أطمع فى شىء ، وليس من
حق أن أطمع فى شىء . ان اليد التى أرجوها منك
هى أن تمجلى بمذابى . أرضينى بانتقام عادل ؛ وحسبى

وسيقسم منذ اليوم شعائره بين حبك وبين
الفضيلة ؛ ومحال أن يدنس الهيكل الذي تمجد فيه
جوليا بنار أخرى

البطاقة الأولى من جوليا

لا أرجح الرأي الذي يجعل اعتمادك ضرورة ؛
إن القلب الورع يستطيع أن يبيع هواه أو يسكت ؛
ولعله ينقلب خشياً مهيباً . ولكن أنت . . .
أنت تستطيع أن تبقى

الجواب

لقد سكت طويلاً حتى حماني فتورك على الكلام .
إذا استطاع المرء كبح هواه ابتغاء الفضيلة ، فإن
يستطيع مطلقاً أن يتحمل احتقار من يحب .
لا بد من السفر

البطاقة الثانية من جوليا

لا يا سيدي . إن رجلاً كالذي تظاهرت بأن
تكونه فأحس ما أحسست ، وجروء على أن يقول لي
ما قلت ، لا يسافر بمد ذلك . إنه سيعمل أكثر
مما عمل

الجواب

أنا لم أنظر إلا بهوى معتدل في قلب يائس .
غداً ستكونين راضية ، ومهما أملت في ذلك فلا أقل
من أن أسافر

البطاقة الثالثة من جوليا

يا لأبله ! إذا كانت حياتي عزيزة عليك ! فأخش
أن تمتد على حياتك . أنا الآن مأسورة محصورة
فلا أستطيع أن أكلك ولا أن أكتب اليك
حتى التذ ؛ فانتظر

الزيات

(يتبع)

الخوف من أمل ، لأنني إما أن أكون قد أخطأت ،
وإما أن تكون سعادتك أغر على من سعادتي

على أنني حين ثبت إلى نفسي ، تبين لي أنني
جرت في الحكم على قاي ، وعلمت بعد أن قضى
الأمر أن الذي حسبته هذياناً يزول ، إنما هو كلمة
القدر في مصيري وحياتي

إن اشتداد حزنك هو الذي أشعرني بإشتداد
حبي . لا ، أبداً ؛ إن وميض عينيك وإشراق لونك
وبراعة ذهنك وكل ما كان لهجتك الماضية من
جمال وسحر ، كل أولئك لا يستطيع أن يحدث مثل
ذلك الأثر الذي يحدثه في نفسي ضعفك . لا يخامرُك
الشك في ذلك يا جوليا ! فإني لو استطعت أن ترى
الضرم الذي أورتبه في نفسي أيام الضنى الثمانية
لسالت شؤونك أسي مما جررت به على من الأذى
والألم . لقد أصبح ذلك الألم عياء لا يرجى برؤه ؛
وإنني لأشعر أن هذه النار التي تصاليني وتذويني إن
يخبو أوارها إلا في القبر . لا بأس . إن من عجز عن
أن يحمل نفسه سعيدة ، لا يعجز عن أن يحملها
على الأقل خليقة بالسعادة . وسأعلم كيف أحملك على
أن تحترى رجالاً تفضلني عليه بجواب . أما حديث
السن ، وفي مقدوري أن أمال يوماً ما ذلك الخطر
الذي لست كفؤاً له اليوم . وفي خلال ذلك يجب
أن أرد عليك السكينة التي فقدتها أنا إلى الأبد .
إن من العدل أن أكيد وحدي عقوبة الجريمة التي
افترقتها أنا وحدي

وداعاً يا جوليا . عودي إلى هدوئك وغبطتك ،
وابسطي ما تفضن من جهتك ، فإن ترى وجهي
بعد اليوم . ولكن ثقي إن الحب القوي النقي الذي
يضرم أنفاسي لا تخمد وقدته ما حييت ؛ وأن القلب
الذي يغمره مثل هذا الحب لن يذل ولن يهون ؛